عمليات تطهير عرقي تجري في رفح تحت سمع العالم و بصره

19-5-2004

تحولت رفح إلى ساحة معركة تمارس فيها قوات الاحتلال كل أنواع الجرائم من قتل واغتيال واعتقال وهدم للمنازل والبنى التحتية برمتها. وتسود حالة من الكآبة والحزن والقلق تسيطر على كل زاوية وحارة وحي. يوم الاثنين كان الأهالي يتوقعون أن يحدث اجتياح واسع بعد أن سمعوا بالحشد الهائل للدبابات في مفترقات المدينة وبعد أن اغلقت قوات الاحتلال كل المنافذ المؤدية إليها, فيما بدأت طائرات حربية إسرائيلية من نوع اباتشي تحوم فوق سماء المدينة منذ المساء وحتى

بقلم وسام عفيفة

مواد ذات علاقة

توقيت تدمير رفح: بين الوجدان اليهودي والتواطؤ الأمريكي

تحولت رفح إلى ساحة معركة تمارس فيها قوات الاحتلال كل أنواع الجرائم من قتل واغتيال واعتقال وهدم للمنازل والبنى التحتية برمتها. وحين يسير أي إنسان عادي بين شوارع وأزقة مخيم ومدينة رفح سيجد أن حالة من الكآبة والحزن والقلق تسيطر على كل زاوية وحارة وحي. يوم الاثنين كان الأهالي يتوقعون أن يحدث اجتياح واسع بعد أن سمعوا بالحشد الهائل للدبابات في مفترقات المدينة وبعد أن اغلقت قوات الاحتلال كل المنافذ المؤدية إليها, فيما بدأت طائرات حربية إسرائيلية من نوع اباتشي تحوم فوق سماء المدينة منذ المساء وحتى صباح اليوم الثاني, وبين الحين والآخر تطلق الرصاص أو تقذف الصواريخ تجاه بيوت العائلات الفلسطينية. ولم يستفق الأهالي من هول الصدمة التي أودت بحياة 13 مواطنا قتلوا خلال غارات جوية على المدينة اليوم الخميس إلا وقد داهمتهم حملة القتل والتدمير الجديدة في حي تل السلطان التي بدأت خيوطها تتوالي على الأسماع: استشهاد 5 أشخاص ثم ارتفع العدد إلى 8 ثم وصل إلى 13 ثم إلى عشرين شهيدا, وترافق ذلك مع تهديدات بتدمير نصف المدينة على رؤوس سكانها عبر عمليات اجتياح شاملة. خلال الأيام الماضية بدت شوارع رفح خالية من السكان, الكل يحاول أن يتسمع الأخبار ويعرف ماذا سيحدث في الساعات القادمة ..المحلات التجارية أغلقت أبوابها -بدون دعوة للاضراب- المدارس أعلمت الطلاب والتلاميذ بتوقف الدراسة ... القلق والانتظار كان سيد الموقف, كما أن تحركات بعض العائلات للخروج من منازلها المتاخمة للشريط الحدودي أضاف بعدا آخر للأزمة المتفاقمة, وبدا أن رفح ستقبل على مرحلة جديدة من مراحل صراعها مع الاحتلال, وهي بلا شك من أصعب المراحل. وكان رئيس هيئة الأركان الإسرائيلي موشيه يعلون، قد أعلن أن العمليات العدوانية التي يقوم بها جيش الاحتلال في مدينة رفح ستستمر لأكثر من يوم أو يومين على حد قوله.

وقال يعالون في تصريحات صحفية إن قواته تتحرك بحذر وبشكل منظم في رفح مدعيا أن العمليات العسكرية التي يقوم بها جيشه في مدينة رفح أصبحت ضرورية بعد تحولها إلى "بوابة للإرهاب" تدخل منها الوسائل القتالية الكثيرة، كقذائف آر. بي. جي على حد زعمه. وزعم يعالون أن هناك محاولات عديدة لإدخال وسائل قتالية أخرى بواسطة أنفاق تهريب الأسلحة والجيش اصبح ملزما بالقيام بهذه العمليات لوقف هذا النشاط. وأردف يعلون يقول للصحفيين إننا "تعرفنا على هوية تسعة قتلى، أسماؤهم معروفة لنا جيدًا. قمنا بعمليات اعتقال واسعة، وننوي الاستمرار في ذلك، وأيضًا من أجل العثور على الأنفاق، ومحاولة اعتقال المهربين أو كل من هو متورط في هذا النشاط، سنواصل العملية حتى النهاية". إلى ذلك، قال وزير الجيش، شاؤول موفاز تعقيبًا على العمليات العسكرية في رفح، إنها "غير محددة زمنيًا، وجاءت نتيجة الأحداث الأخيرة في قطاع غزة، وسيتم تقييمها أمنيًا وفق التطورات الميدانية في الأيام القادمة، والمعارك يجب أن تكون حازمة وصارمة". وأضاف موفاز: "أعتقد أنه ستكون هناك مشاورات لتقييم الوضع الأمني اليوم وغدًا، واستنادًا إليها سنقرر الخطوات القادمة. تهدف العملية إلى التعامل بحزم أكثر مع محاولات تهريب الوسائل القتالية إلى قطاع غزة.

* تل السلطان: ساحة حرب

قامت قوات الاحتلال الأحد الماضي بعزل مدينة رفح كاملا من كل الجوانب وشوهدت عشرات الدبابات تتمركز على طول الشريط الحدودي وقرب معبر كارني وعلى الحدود الغربية للمدينة. وقد توقع الأهالي أن تكون هناك عملية اجتياح واسعة ولذلك برزت حركة تنقلات من مكان لآخر بهدف البحث عن مكان آمن, فيما برز المقاومون الفلسطينيون وهم يعدون عدتهم لمجابهة قوات الاحتلال. وقد شنت قوات الاحتلال الإسرائيلي صباح الإثنين الماضي عملية توغل واسعة النطاق في رفح جنوب قطاع غزة، شاركت فيها دبابات وجرافات ومروحيات، وقد تحول تل السلطان, الحي الغربي لمدينة رفح, إلى ساحة حرب بعد أن اجتاحته قوات الاحتلال ليلة الثلاثاء بعشرات الدبابات وبمساندة الطائرات الحربية, وفرضت عليه طوقا كاملا ومنعت السكان من الخروج من منازلهم. وقد اعتلت قوات الاحتلال أكثر من عشر بنايات ونشرت عليها عددا من القناصة وخلال الساعات الأولى للاجتياح سقط عشرون شهيدا بينهم والد وابنه وشقيقان من عائلة المغير. وقامت قوات الاحتلال إضافة إلى قصف منازل الفلسطينيين وتجريفها، بتدمير منهجي للبنية التحتية في حي تل السلطان. وفي تصعيد خطير اطلقت قوات الاحتلال عددا من الصواريخ باتجاه منزل بلال في حي تل

السلطان والتي تسببت في سقوط عدد من الشهداء و تدمير الطابق العلوي للمسجد واحتراق المكتبة الخاصة به. وأعلنت مصادر طبية فلسطينية أن شهيدين فلسطينيين سقطا برصاص الاحتلال الإسرائيلي في رفح، وهما: أسماء المغير (16 عاما) وشقيقها أحمد المغير (14 عاما)، بعدما قامت قوات الاحتلال باطلاق النار على منازل المواطنين بشكل عشوائي. كما استشهد إسماعيل بلعاوي (45 عاما) متأثرا بجراحة وهو والد الشهيد إبراهيم البلعاوي. وذكرت المصادر الطبية الفلسطينية أنها تقدر عدد الشهداء بأكثر من 30 شهيدا، لكن قوات الاحتلال تمنع الطواقم الطبية من الوصول ونقل الجرحى والشهداء. وقال شهود عيان إن قوات كبيرة من جيش الاحتلال معززة بالدبابات وبالمروحيات اجتاحت تل السلطان الساعة الواحدة فجرا، في حملة دموية تحمل اسم "قوس قزح"، أسفرت حتى الآن عن استشهاد 20 فلسطينيا، سقط سبعة منهم داخل مسجد استهدفه القصف الاسرائيلي الذي لا يستثني حتى دور العبادة، فيما استشهد فلسطيني آخر جراء انفجار عبوة كانت تعدها المقاومة لمواجهة التوغل الاسرائيلي. وقال شهود العيان إن مروحيات الأباتشي الإسرائيلية بدأت عمليات القصف، الساعة الواحدة فجر الثلاثاء، في منطقة ابو جزر فى منطقة بلوك "o" ما أدى إلى استشهاد ثلاثة مواطنين فلسطينيين وهم وليد أبو جزر 27 عاما ومحمد الجندي 20 عاما ومحمد النواجحة 22 عاما فيما أصيب 6 مواطنين من بينهم امرأة، وصفت المصادر الطبية جراح اثنين منهم بأنها خطيرة، وقال الدكتور علي موسى مدير مستشفي ابو يوسف النجار في المدينة إن قصفا صاروخيا ثانيا استهدف مسجد بلال بن رباح فى منطقة تل السلطان على الشريط الحدودي بثلاثة صواريخ أدت الى استشهاد 7 مواطنين فلسطينيين فيما أصيب 10 آخرين جراح عدد منهم خطيرة للغاية.

وأوضح موسى أن الشهداء السبعة وصلوا إلى مستشفى أبو يوسف النجار أشلاء مما صعب عملية التعرف عليهم وأوضح موسي أنه تم التعرف علي أربعة من عدد الشهداء وهم : هانى محمد قشطة 17 طرق شيخ العيد 24 عاما إبراهيم البلعاوى 18 عاما محمد الشاعر 21 عاما. وفي هجوم لاحق استشهد محمد إسماعيل ابو طوق 33 عاما وعماد المغارى 24 عاما, وأشار موسى إلى أن شهيدا يدعي إبراهيم درويش 23 عاما كان قد سقط منتصف الليل جراء انفجار عبوة ناسفة كان يعدها المقاومونالفلسطينيون. وقال شاهد عيان يدعى ابو جهاد "إن الطائرات الإسرائيلية أطلقت صاروخا على مجموعة من المواطنين كانوا فى طريقهم الى المسجد ما أدى الى سقوط شهيدين حيث هرع المواطنون لإنقاذهم، إلا أن الطائرة عاجلتهم بصاروخ آخر ما أدى إلى وقوع عدد أكبر من الشهداء والمصابين. وأكد أبو جهاد الذى يقطن بالقرب من المسجد الذي قصف أنه شاهد بام عينه اشلاء أربعة شهداء خلف سور المسجد وقال شهود عيان آخرون إنهم شاهدوا حريقا يندلع فى الطابق الثاني والثالث من مسجد بلال بن رباح, موضحين أن الطابق الثالث للمسجد يضم مكتبة ضخمة للغاية تعد أكبر مكتبة موجودة فى مدينة رفح،

كذلك تم إطلاق النار على مسجد النور، ودهم مسجد الصالحين ورياض الأطفال التابعة له والعبث بمحتويا وطالب الدكتور معاوية حسنين مدير عام الإسعاف والطوارئ في الوزارة في بيان له، منظمة الصحة العالمية والصليب الأحمر الدولي، بممارسة الضغط على إسرائيل لوقف اعتدائها على أبناء الشعب الفلسطيني والطواقم الطبية وفرق الإنقاذ وسيارات الإسعاف.وبين أن قوات الاحتلال تتعرض لأطقم الإسعاف والمسعفين وسيارات الإسعاف بشكل يومي في شتى الأراضي الفلسطينية ضاربة بذلك عرض الحائط كل المواثيق الدولية ذات العلاقة، خاصة اتفاقية جنيف الرابعة، واعتبر هذه الممارسات عرقلة مقصودة لعمل الأطقم الطبية والإنسانية.

* أهالي تل السلطان لن نرحل:

ورغم ذلك كله أكد أهالي منطقة تل السلطان المحاصرة بالكامل ومن جميع المحاور والمعزولة عن باقي أحياء مدينة رفح التي تتعرض لهجمة إسرائيلية شرسة منذ يومين بأنهم باقون فى منازلهم ولن يرحلوا مهما نفذ المحتل الإسرائيلى من مجازر بحقهم.

وقال ابو خالد النواجحة 39 عاما "إن جيش الاحتلال الإسرائيلي يهدف من وراء عمليته هذه قتل أكبر عدد ممكن من المواطنين الفلسطينيين موضحا أن الجيش كان يعد لاجتياح رفح بهذا الشكل منذ فترة طويلة وهو ما كان يسمعه المواطنين على لسان قادة جيش الاحتلال". وأوضح النواجحة من داخل الغرفة التى يتواجد فيها هو وأطفاله وزوجته بأنه سيصمد هنا في بيته ولن يرحل عنه حتى لو هدموا البيت فوق رأسه. وقال: "ما يريده الاحتلال هو تشريدنا عن منازلنا من أجل هدمها لتوسيع ما يسمونه بممر فيلادلفي ولن أسمح أن يساعد بيتي على إنشاء مثل هذا الممر". من جهتها قالت الحاجة أم وجدي فى اتصال هاتفي "إن كل سكان المنزل بل كل سكان تل السلطان لم يستطيعوا النوم بسبب كثافة القصف وتخوفا من ان تقدم طائرات الاحتلال على قصف منازل المواطنين". وأوضحت أنها ستبقى صامدة هي وأولادها وباقي سكان الحي فى وجه هذا العدو ولن تعطيه الفرصة في ترحيلها مرة أخرى. من جانبها أكدت وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الانروا التابعة للأمم المتحدة أن الادعاءات الاسرائيلية بأن المنازل التي تم هدمها من قبل قوات الاحتلال في رفح كانت مهجورة غير صحيحة، ومحذرة من أنها لن تتمكن في المدى القريب من إعادة بناء المنازل التي دمرها جيش الاحتلال خلال الأيام الماضية. والتي تجاوزت 218 منزلا.

* أخدود على الحدود:

وتعتزم إسرائيل حفر أخدود كبير على الحدود بين قطاع غزة ومصر بدعوى حماية دورياتها العسكرية ومنع إقامة أنفاق عبر الحدود لتهريب الأسلحة للمقاومة، حسبما ذكرت الشبكة الثانية في التليفزيون الإسرائيلي. وقالت الشبكة : إن الجيش قرر حفر أخدود بعمق 20 مترا، وبعرض ما بين 60 و 80 مترا على الحدود مع مصر، مشيرة إلى أن طول الأخدود لم يتحدد بعد.

وأشارت المحطة إلى أنه ما بين هذا "الأخدود الأمني" والمنازل الفلسطينية الأقرب إليه والمواجهة للحدود مسافة 150 مترا، وأنه ستتم إزالة "عدد غير محدد" من تلك المنازل التي يصفها مسئولون إسرائيليون بأنها غير مأهولة. وأوضحت المحطة أنه سيتم إقامة عدد من الجسور لتمكين الجنود الإسرائيليين الذين يشرفون على الحدود من اجتياز الخندق، وأكدت أن رئيس الأركان الإسرائيلي موشيه يعالون عرض مشروع الأخدود على الأرجح على الاجتماع الأسبوعي لمجلس الوزراء الأحد الماضي.

* قصص شهداء ممزوجة بالدماء والدموع:

روايات ومآسي جرائم الاحتلال كثيرة ومنها ما حدث مع الشهيدين الشقيقين محمد 14 عاما واسماء المغير 16 عاما.

سرية المغير (42 عاما) " أم علي"، والدة الشهيدين لم تجد لتعبر عن حزنها الشديد سوى القول: "حسبي الله ونعم الوكيل أطفالنا يقتلون أمام أعيننا والعالم وضميره الذي لا يحرك ساكناً".

وتصف أم علي لحظة الاستشهاد فتقول: إن كل ذلك حدث وكأنه حلم، لقد مر كل شئ بسرعة، كنا نجلس في الطابق الأرضى نتناول الفطور وما أن انتهينا من تناوله حتى وقف أحمد وقال: "أريد أن اطلع إلى سطح البيت لأطعم الحمام، لقد كان مغرما بتربية الحمام،

فأقام له والده قفصا للحمام على سطح المنزل". بعد أن هم أحمد بالذهاب لإطعام الحمام قالت أسماء أنا أيضا أريد أن أذهب لأجلب الغسيل، وخرجا من باب البيت إلى السطح وما هي إلا دقيقة حتى سمعنا دوي إطلاق نار كثيف شعرنا به كما لو كان داخل منزلنا، فهرعت الأم إلى السطح لتجد أحمد وأسماء طريحين على الأرض والدماء تنزف منهما".

ولم تستطع الوالدة إكمال حديثها، فاعتذرت قائلة مرة أخرى: حسبي الله ونعم الوكيل، احتسبهما عند الله شهداء، الوالد محمد المغير (45 عاماً) والذي بدا أكثر تماسكاً من زوجته قال: إن ابنته أسماء والطالبة في الصف الأول الثانوي في مدرسة القادسية الثانوية للبنات، كانت من الطالبات المتوفقات للغاية، مشيراً إلى أنها تحفظ نصف القرآن الكريم. أما طفله احمد فكان طالباً في الصف الأول الاعدادى في مدرسة العامرية الإعدادية في المدينة وكان يعشق ومغرم بتربية الحمام.

هل أصبح إطعام الحمام جريمة يدفع المرء حياته ثمنا لها... لا يوجد ظلم أكثر مما نعيش فيه الآن تساءل الوالد".

وأضاف "في اي عرف وفي أي قانون يقتل أولادي منذ الساعة الحادية عشر والنصف ولا أستطيع دفنهم حتى هذه اللحظة ".

وقال: "أتمنى من أي شخص يستطيع التدخل لدى قوات الاحتلال بأي وسيلة للسماح لي أو للأطقم الطبية والمسعفين بإخراج الجثث من هنا لدفنها، لان ذلك لا يجوز على الإطلاق، فهناك العديد من الأطفال في المنزل والجثث موجودة فى غرفة وأخاف أن تتعفن وتنبعث منها رائحة كريهة خاصة وان الجو حار بعض الشئ" .

علي، أكبر الإخوة سناً: يقول "لقد صعقت حينما رأيت أسماء وأحمد على الأرض والدماء تنزف منهما. لم نستطع إنقاذهما وهم (الجيش) لم يسمحوا لأحد بالدخول إلينا لإنقاذهما...لماذا يستبيحون دمنا بهذه الطريقة البشعة؟ لماذا تقوم الدنيا ولا تقعد اذا مات طفلاً اسرائيلياً في حين لا احد يتحرك اذا مات مائتي طفل فلسطيني دفعة واحدة؟".

وما حدث للأخوين إبراهيم وخليل الشاعر، لا يقل مأساوية، فعندما لاح نور الصباح خرج الاثنان الى بسطة الفلافل، قرب منزل العائلة، الذي يقع في الجزء الشرقي من حي تل السلطان، وعندما كانا يستعدان للشروع في تجهيز الفلافل انتظارا لقدوم ابيهما، اذا بقناصة الاحتلال يطلقون النار عليهما، فيقتلان على الفور.

الطفل ابراهيم البلعاوي،15عاما، الذي يسكن في حي تل السلطان، فكر في الهرب من بيت العائلة صباحا عندما شعر باقتراب قوات الاحتلال من المنزل، وعندما كان يهم بالخروج من المنزل اذا بقناص من جيش الاحتلال يصيبه في صدره، فيرديه قتيلا. والده إسماعيل الذي هاله مشهد نجله البكر وهو ممدد امام باب المنزل حاول التقدم لادخال الجثة إلى داخل المنزل، فحذره الجيران، وبعد ساعتين، وعندما اعتقد ان الوقت اصبح مناسبا اكثر اندفع لينقل الجثة إلى المنزل، فإذا برصاص القناصة يصيبه أيضا في الرأس، ويفجر جزءا من الرأس بفعل استخدام الجنود لرصاص الدمدم المتفجر.